مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 14 العدد 1، 2017، ص ص 1- 20

انسجام أداء الإدغام في أصوات اللغة العربية: قراءة القرآن الكريم أنموذجا

فوزية علي القضاة ومريم جبر فريحات *

تاريخ الاستلام 2015/10/28 تاريخ القبول 2016/2/8

ملخص

يسعى هذا البحث للوقوف على ظاهرة من ظواهر اللغة العربية، هي ظاهرة الإدغام في أصوات هذه اللغة، من حيث اهتمامها بالأصوات وتأثّرها ببعضها بعضاً، وهذا تأثير نسبي يهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، فيزداد مع مجاورته قربها في الصفات أو في المخارج، والتأثير بدوره يؤدي إلى الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة. وقد بين هذا البحث أن الأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها فيما بينها، فقد لا يعدو أن يفقد صوت من الأصوات بعض صفاته ليتقارب أو يتجانس مع صفات أصوات مجاورة له، وقد يصل هذا التأثر إلى أن يفنى هذا الصوت بصوت مجاور له، فلا يترك له أثراً، وهذا الفناء هو ما اصطلح عليه العلماء بـ "الإدغام". ولقد مثلت قراءة القرآن الكريم الأنموذج الأمثل لإدغام الأصوات، فكان التمثيل من آيه هنا، مضافاً إليه أمثلة أخرى من الأصوات العربية.

وتبين من هذا البحث أن أصوات العربية كلها قابلة للإدغام في ما يماثلها، باستثناء ما ذكره بعضهم بشأن الهمزة، من حيث عدم إدغامها بمثلها. وقد عرج البحث، إلى ذلك، على مفهوم الإدغام، وشروطه، وحقيقته، وحروفه، والأسباب التي دعت إليه، وأخيراً ذكر أسباب امتناع الإدغام مع تحقق شروطه.

مقدّمة:

إن اللغة حلقة الوصل الأساس في المجتمعات عامة، وهذه اللغة تتكون من رموز وأصوات، لا بدّ عند النطق بها أن يتأثر بعضها ببعض، ومن ثمّ فإن هذا التأثير يهدف إلى نوع من المشابهة والمماثلة، والمماثلة ظاهرة شائعة في اللغات كلها بصفة عامة، إلا أن اللغات تختلف في نسبة التأثير ونوعه، واللغة العربية كسائر اللغات تأثرت بهذه الظاهرة، وخاصة في تطورها إلى لهجات، لذا فإننا نلحظ تشكل ظواهر مختلفة لتأثر الأصوات ببعضها، مما أدّى إلى تكوين قوانين خاصة

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، إربد، الأردن.

لضبط هذا التأثر المتسبب من المجاورة، الأمر الذي أدّى إلى تطور في نطق بعض أصوات اللغة الفصيحة، وبخاصة في اللهجات الحديثة.

وهذه الأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها فيما بينها، وبسبب هذا التأثر نتج ما يسمى بالإدغام، ولعل السبب المباشر في حصوله هو الالتقاء المباشر بين الصوتين، بحيث لا يفصل بينهما فاصل، حتى لو كان الفاصل حركة قصيرة، ولا يتم هذا إلا حين يكون الحرف الأول ساكناً.

والإدغام ظاهرة عامة شائعة في العربية -كما ذكرنا- تتخذ صورا مختلفة قد يقع بينها الاختلاف بسبب اللهجات وبعد الأمكنة وتغيّر الأزمنة لكنها في القرآن الكريم يقل فيها الاختلاف بين القرّاء في تحقيق الإدغام؛ لأنها تستند إلى قراءة متواترة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

حدّ الإدغام:

هو "أن تضع لسانك للحرفين المتماثلين موضعاً واحداً لا يزول عنه"[1]. وقد سمى سيبويه هذه الظاهرة بالمضارعة، فهذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارعه به ذلك الحرف وليس من موضعه[2]. وهو أن تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة؛ لأن المخرج واحد ولا فصل، وذلك قولك: قطّع وكسّر[3]. "والإدغام إدخال شيء في شيء، فمعنى: أدغمت الحرف في الحرف أدخلته فيه، فجعلت لفظه كلفظة الثاني فصارا مثلين"[4]. وهو عند ابن جني تقريب صوت من صوت[5]. وعند السيوطي: اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً[6]. وهو رفعك اللسان بالحرفين دفعة واحدة ووضعك إياه وضعاً واحداً[7].

والإدغام عند المحدثين من صور المماثلة أو صور المخالفة، والمماثلة عندهم تأثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات، ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها في المخارج، والشدة والرخاوة والجهر والهمس... فإذا التقى صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً، حدث بينهما شدّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو بعضها[8]. ومن صور المماثلة الكلية المدبرة المتصلة مماثلة لام التعريف للثلاثة عشر صوتاً المقاربة لها في المخرج، وتعرّف هذه اللام في الاصطلاح باللام الشمسية، ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام[9]. وأحدثت المخالفة بين الحركات في بعض الصيغ الإدغام عندما يتوالى حرفان متماثلان قد فصلت بينهما الحركة فتحذف الحركة ثم يدغم الحرف الأول منها في الثاني[10].

أما قانون المخالفة فيعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات فيغيّر أحدهما إلى صوت آخر[11].

"أما عندما تحدّثوا عن ظاهرة المخالفة فقد تحدّثوا عنها من خلال اصطلاحات عامّة، كالاستثقال وكراهة تتابع صوتين، وعندما تحدّث عنها أبو علي الفارسي وصفها بالكراهة؛ قال في الحجّة: وقد كرهوا من اجتماع المتقاربة ما كرهوا من اجتماع الامثال فالقبيلان من الأمثال والمتقاربة إذا اجتمعت خفّفت تارة بالإدغام وتارة بالقلب وتارة بالحذف"[12].

ولحصول الإدغام اشترط علماء اللغة شروطاً، ذكرها ابن يعيش بقوله: وهو أن يسكن الأول ويتحرك الثاني فيحصل الإدغام ضرورة سواء أُريد أم لم يُرد، إذ لا حاجز بينهما من حركة ولا غيرها، نحو: (لم يرحْ حاتم، ولم أقلْ لك)، فالإدغام حصل بينهما ضرورة، لأن الأول اتصل بالثاني من غير إرادة لذلك ومن غير قصد، وذلك بأن اعتمد اللسان عليهما اعتمادة واحدة، لأن المخرج واحد ولا فصل، وأما أن يكون المثل الأول متحركاً والثاني ساكناً، نحو: (ظَلَلْت، ورسولُ الحسن)، فإن الإدغام يمتنع، لأن حركة الحرف الأول قد فصلت بين المتجانسين فتعذر الاتصال، وإذا كان المتماثلان متحركين معاً، وهما سواء في كلمة واحدة ولم يكن الحرف ملحقاً قد جاوز الثلاثة، ولا البناء مخالفاً لبناء الفعل، فإنه يدّغم بأن يسكّن المتحرك الأول لتزول الحركة الحاجزة، فيرتفع اللسان بهما ارتفاعة واحدة فيخف اللفظ، وليس فيه نقص معنى ولا لبس، وذلك نحو: ردّ يردّ، وشدّ يشدّ[13].

مما سبق نتبين أنه حتى يتم الإدغام لا بدّ من المجاورة التامة للصوتين، سواء في كلمة واحدة أو كلمتين متجاورتين، لأن الإدغام لا يكون إلا عند وصل الكلمة بالكلمة التالية، وبينهما ترابط وثيق، وأن لا يكون بين الصوتين المدغمين حركة، لأن الحركة تعدّ فاصلة بين الحرفين أو الصوتين المراد إدغامهما، فلا تتحقق المجاورة المباشرة التي هي سبب الإدغام، وأن لا يكون بين الصوتين فاصل زمني عند النطق بهما، وأن يكون الحرفان متماثلين أو متقاربين أو متجانسين، أما أن يكونا متباعدين فليس بينهما إدغام[14].

حقيقة الإدغام:

ذكر ابن جني أن الإدغام على ضربين "أحدهما أن يلتقي المثلان اللذان يكون عنهما الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، والأول من الحرفين ساكن ومتحرك، فالمدّغم الساكن الأصل، كطا (قطّع) وكاف (سكّر)، والمتحرك نحو: دال (شدّ) ولام (معتلّ)، والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، وذلك مثل: (ودّ) في التميمية، وامّحى، وامّاز، واصّبر، واثّاقل عنه، والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت. وأوضح قوله بأن الغرض من الإدغام إنما هو تقريب الصوت من الصوت بأن الأول إذا كان ساكنا

وأدغمته في مثله فقد قرّبته منه، ونبا لسانك عنهما نبوة واحدة، وتجاوزت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه، فأما إذا كان الأول منهما متحرّكا فأسكنته وأدغمته، فهذا أوضح من الأول في قصد التقريب، وذلك أنّك أزلت عنه الحركة التي تكون حاجزا بينه وبين مثله لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامّته ومماسة لفظه بلفظه، وأما إذا كان الحرفان مختلفين وقلبت أحدهما وأدغمت، فلا شك في أنّك إنما فعلت ذلك إيثارا لتقريب أحدهما من الآخر؛ لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير"[15]. وإذا كان الإدغام بين صوتين متماثلين، وكان الأول ساكناً والثاني متحركاً، فليس إلا أن يدغم في الثاني منهما، وذلك نحو: (لهمْ ما)، فتلفظ: (لهمّا)، فالأول منهما قد ملك جميع مواصفات الثاني فأدغم فيه، أما أن يكون الإدغام بين صوتين مختلفين، فلا يقع الإدغام بينهما إلا بعد إقلاب أحدهما إلى نظيره، بحيث يملك جميع مواصفاته، وبعد أن يتمّ للصوت الأول ذلك يدغم في الثاني، فيقع هذا الإقلاب بين الصوتين اللذين يراد إدغامهما وفق قوانين الإقلاب الصوتية المقررة، حيث إن حقيقة الإدغام أن ينقلب الحرف أو الصوت الأول من جنس الثاني فيكمل التشديد، ولا يبقى للحرف الأول ولا لصفاته أثر، نحو قوله: (فمنْ يَعْمل) فتقلب النون إلى ياء، ثم تدغم فيها فتلفظ بالإدغام (فميّعمل)، وفي (مِنْ واق) تجعل النون واواً فتلفظ (مِوّاق)، فإذا حصل المثلان وجب إدغام الأول في الثاني حكماً جماعياً من غير وقف على الأول[16].

أنواع الإدغام:

يقسم الإدغام من حيث الماهية إلى نوعين: الإدغام الكبير والإدغام الصغير، فالكبير ما كان في الأول من المثلين متحركاً، ثم يسكّن ويدغَم في الثاني، وهو أظهر أمراً، وأوضح حكماً، وإنما أسكنته لتخلطه بالثاني، وتجذبه إلى مضامّته، ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزاً بينهما، وإما إن كانا مختلفين ثم قُلبت وأُدغمت، فلا إشكال في إيثار تقريب أحدهما من صاحبه؛ لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير[17]. وقد سُمي كبيراً لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السكون، أو لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه أو لما فيه من الصعوبة أو لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين[18]، والإدغام الصغير ما كان الحرف الأول فيه ساكناً، وهو واجب وممتنع وجائز[19]، وسُمي صغيراً لقلة الإعمال فيه مقارنة بالكبير، فالحرف هنا ساكن لا يحتاج إلى كثير الجهد ليدغم[20].

الغاية من الإدغام:

بيّن اللغويون أن الإدغام جاء طلباً للخفة وتقليل الجهد العضلي، فأصل الإدغام إنما هو في الحرفين المثلين، وعلة ذلك إرادة التخفيف، لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف مثله صعب ذلك، وشبهه النحويون بمشي المقيد[21]. إذن، الغرض من الإدغام هو التخفيف والتخلص من توالي الأمثال عن طريق فناء أحد المتماثلين في

الآخر، ولأن النطق بالمثلين ثقيل، لأنك تحتاج منهما إلى إعمال العضو الذي يخرج الحرف المضعّف مرتين فيكثر العمل على العضو الواحد، ولأن التكرير ثقيل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر، ولأن النطق بذلك أسهل من الإظهار، كما يشهد فيه الحس والمشاهدة[22].

وبعد، هل حروف العربية جميعها صالحة لأن يقع فيها الإدغام، يجيب على هذا السؤال سيبويه بقوله: "ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزة، لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف، وذلك لازم لها وحدها كما يلزمها التحقيق، لأنها تُستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو مع ما قرب منها أجريت عليه وحدها، لأن ذلك موضع استثقال. وكذلك الألف لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه، لأن الألف لا تدغم في الألف، لأنهما لو فُعل ذلك بهما فأجريتا مجرى الدالين والتاءين تغيّرتا فكانتا غير ألفين، فلما لم يكن ذلك في الألفين لم يكن فيهما مع المتقاربة، فهي نحو من الهمزة في هذا، فلم يكن فيهما الإدغام كما لم يكن في الهمزتين. ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شي من المتقاربة، لأن فيهما ليناً ومداً، فلم تقوَ عليهما الجيم والباء، ولا ما لا يكون فيه مدّ ولا لين من الحروف، أن تجعلهما مدغمتين، لأنهما يخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليس فيه مدّ ولا لين...، وإذا كانت الواو قبلها ضمّة والياء قبلها كسرة فهو أبعد للإدغام، لأنهما حينئذ أشبه بالألف. وهذا ما يقوّي ترك الإدغام فيهما وما قبلهما مفتوح، لأنهما يكونان كالألف في المدّ والمطل، وذلك قولك: ظلموا مالكا، واظلمي جابرا".[23]

والهمزة "إذا كانت قد استثقلت والتقت همزتان في غير موضع العين فلا إدغام فيهما إلا أن تلين إلى الواو أو الياء، فتصادف ما تدغم الواو والياء فيه، وأما ما عينه همزة، نحو: (سأال ورأاس وجأار) من الجؤار، وهو الصوت، ولو جمعت سائلاً وجائراً على فعل لأدغمت، وقلت: سوّل وجوّر، فإذا التقت همزتان في غير موضع العين فلا إدغام، فإذا قلت: قرأ أبوك. فقد اجتمع همزتان، وإن كان التخفيف لأحدهما لازماً. والألف لا تدغم في مثلها ولا فيما يقاربها، لأن الثاني من المدغم لا يكون إلا متحركاً، والألف لا تحرك، فالأول لا يكون إلا كالثاني وإن كان ساكناً فامتنع فيها مع ما قاربها ما امتنع فيها مع مثلها... ولا تدغم في مقارب؛ لئلا يزول ما فيها من زيادة المدّ والاستطالة"[24].

إن دراسة موضوع الإدغام في أصوات العربية يجعلنا نذكر أن القرآن يمثل الأنموذج الأمثل للعربية، على المستوى الصوتي الذي نظم به القرآن الكريم، لذا فإن موضوع الإدغام قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بقراءة القرآن الكريم، وبخاصة ما يتعلّق بقواعد التجويد، لذا فإنا ذكرنا أمثلة وردت في القرآن الكريم على إدغام الحروف، ولو أن مجال البحث لا يتسع لأكثر من مثال واحد لكل حرف من الحروف، وهذه الأمثلة كما وردت، موضحة في الجدول الآتي: هي ما جاء في حرف

الباء، وحرف الثّاء، وحرف الجيم، وحرف الحاء، وحرف الخاء، وحرف الدال، وحرف الذال، وحرف الراء، وحرف الزاي، وحرف السين، وحرف الشين، وحرف الصاد، وحرف الضاد، وحرف الطاء، وحرف الظاء، وحرف العين:

الحرف	الآية الكريمة	السـورة	رقم الآية
الباء	"اذهبْ بكتابي"	النمل	28
الثاء	"فكانت هباء منبثًا"	الواقعة	6
الجيم	"يوم الحجّ الأكبر"	التوبة	3
الحاء	"قالوا إنما أنت من المسحّرين"	الشعراء	185
الخاء	"سبحان الذي سخّر لنا هذا"	الزخرف	13
الدال	"وقد دّخلوا بالكفر"	المائدة	61
الذال	"وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً"	الحج	27
الراء	"واذكر ربّك إذا نسيت"	الكهف	24
الزاي	"ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين"	المنافقون	8
السين	"وإذا مسّ الإنسان الضرّ"	يونس	12
الشين	"وأهشّ بها على غنمي"	طه	18
الصاد	"وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً"	المزمل	13
الضاد	"قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم"	النور	30
الطاء	"وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حِطّة"	البقرة	58
الظاء	"ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك"	آل عمران	159
العين	"يوم يدعّون إلى نار جهنم دعًا"	الطور	13
الغين	"ومن يبتغِ غَيْر الإسلام دينا فلن يقبل منه"	آل عمران	85
الفاء	"أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله"	الأنبياء	67
القاف	"وما أريد أن أشقّ عليك"	القصص	27
الكاف	"أفي الله شكّ"	إبراهيم	10
اللام	"كلاّ بل لا تكرمون اليتيم"	الفجر	17
الميم	"عـمّ يتساءلون"	النبأ	1
النون	"إنّا أعطيناك الكوثر"	الكوثر	1
الهاء	"ومهّدت له تمهيدا"	المدثر	14
الواو	"يا جبال أوّبي معه"	سبأ	10
الياء	"إيّاك نعبد وإياك نستعين"	الفاتحة	5

ما ورد في الجدول أعلاه أمثلة قليلة مما ورد في النص القرآني على الإدغام، ومن أجل تخطي الفاصل الزمني بين المقاطع الصوتية حتى يتم الإدغام على الوجه المشروط، فقد رأينا بعض صفات الحروف تضعف عند إدغامها مثل: القلقلة والصفير والهمس وغير ذلك، لأن أكثر ما تظهر هذه الصفات عندما يكون الحرف ساكناً[25].

الأسباب التي دعت إلى الإدغام:

قسم اللغويون الأسباب التي دعت إلى الإدغام، من حيث درجة التشابه بين الصوتين المدغمين، ثلاثة أقسام هي: إدغام المتماثلين، وإدغام المتقاربين، وإدغام المتجانسين، وهي تقسيمات جاءت بناء على مخارج الحروف وصفاتها[26]. والمخرج في اللغة نقيض المدخل، وقد يكون موضع الخروج، قال تعالى: "ذلك يوم الخروج" والخروج اسم من أسماء يوم القيامة[27]، المخرج موضع الخروج، وجمعها مخارج، وعند القرّاء والصرفيين موضع خروج الحرف، وظهوره، وتميزه عن غيره بوساطة الصوت[28]. وهو في الاصطلاح: نقطة في مجرى الهواء يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاء محكماً مع بعض الأصوات، وغير محكم مع أصوات أخرى[29]. وهو محل خروج الحرف الذي ينقطع عنده صوت النطق فيتميز به عن غيره[30].

وأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو[31]. وهذا هو ترتيب الحروف العربية حسب مخارجها عند سيبويه وعند غيره، من أقصى الحلق وحتى الشفتين، ومخارج هذه الحروف مختلف فيها، فهي عند الخليل ثمانية، حيث ذكر الأزهري: "قال الخليل فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقيّة، والقاف والكاف لهويّان، والجيم والشين والضاد شَجْريّة والشَّجْر مفرج الفم، والصاد والسين والزاي أسليّة، والتاء والدال والطاء نطعيّة لأن مبدأها من نطع الغار، والظاء والذال والثاء لثويّة لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذلقيّة، والفاء والباء والميم شفوية، والواو والألف والياء هوائيّة"[32]. وجعلها سيبويه ستة عشر مخرجاً، وكذا ابن جني وابن يعيش والسيوطي وغيرهم[33]. ومذهب القرّاء وجماعة من أهل العربية أنها أربعة عشر مخرجاً، وأما ما عليه علماء التجويد واللغة، و رجحه الإمام ابن الجزري، فهو أنها سبعة عشر مخرجاً[34].

وبالعود إلى أسباب الإدغام، والتماثل، والتقارب، والتجانس، فإن التماثل في اللغة من: مَثَل ومِثْل وشَبَه وشِبْه، بمعنى واحد، والمثل: الشبه والنظير[35]. أما في الاصطلاح: فهو أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون فيهما الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، والأول من الحرفين في ذلك على ضربين: ساكن ومتحرك، فالمدغَم الساكن نحو: دال (شدّ) ولام (معتلّ)[36]. وهما الصوتان

أو الحرفان اللذان اتحدا مخرجاً وصفة واسماً ورسماً، كالميمين أو النونين والكافين، ويكون أولهما ساكناً والثاني متحركاً، فإذا التقيا يدغم الأول في الثاني، ليصبحا حرفاً واحداً مشدداً، ويكون لإرادة الخفة في النطق، في مثل: "اضْرب بعصاك البحر" الأعرف:160، وتلفظ: (واضربّعصاك البحر)، وقوله: "ويجعلْ لَك قصورا" الفرقان: 10، وتلفظ: (ويجعلّك قصورا)[37]. وإدغام المثلين واجب بشروط: أن يسكّن الأول نحو: (اضرب بّكراً)، ولم يكن (هاء) سكت، بخلاف (ماليه هلك)، فإنها إذا وصلت ينوى الوقف عليها، ولا تبدأ بما بعدها، فيتعين الفك، ولهذا أظهرها القرّاء عند الوصل، ولم يدغموها، ورواية ورش بالإدغام، وهو ضعيف من جهة القياس[38]. نتبين من هذا أن في (ماليه هلك) وجهين: الإدغام والإظهار، والإظهار مع السكت عندهم أرجح وأقيس، لأن أول المثلين هاء سكت، وبالإدغام تُقرأ (ما ليهّلك)، وبالإظهار تُقرأ: (ماليه هلك)، ويوقف على الهاء الأولى وقفة خفيفة من غير قطع النفس بنية استئناف القراءة، والإظهار مع السكت هو المقدم في الأداء عند حفص[39].

أما السبب الثاني الذي دعا إلى الإدغام، فهو التقارب، وهو من القرب: نقيض البعد، والتقرب: التدني إلى الشيء، قَرُب الشيء أي دنا فهو قريب، قال تعالى: "ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب"، والقرب: الدنو والقرابة، يقال: بيني وبينه قرب[40]، والتقارب في الاصطلاح هو شيء من هذا القبيل، فالحروف المتقاربة مخارجها إذا أدغمت فإنّ حالها حال الحرفين اللذين هما سواء في حسن الإدغام، وفيما يزداد البيان فيه حسناً، وفيما لا يجوز فيه إلا الإخفاء وحده، وفيما يجوز فيه الاخفاء والإسكان[41]. والمتقاربان هما الحرفان اللذان تقاربا في المخرج والصفة أو في المخرج دون الصفة، وكان الأول منهما ساكناً، فوجب الإدغام من غير غنة، ومسوغه في الإدغام هو التجاور[42].

واعلم أن غير المثلين إذا تقاربا في المخرج، وسكّن الأول أشبها المثلين اللذين هما من مخرج واحد، فجاز فيهما الإدغام ما لم يمنع ذلك مانع، وهو يحسن في غير المثلين، ويتقوّى إذا سكن الأول، وهو على ضربين: أحدهما إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني، فيصير بالإدغام إلى زيادة قوة، لأنك تبدل من الأول حرفاً من جنس الثاني، فإذا فعلت نقل لفظ الضعيف إلى لفظ القوة، فذاك حسن جيد، والضرب الثاني، أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين فيحسن الإدغام، إذ لا ينتقص الأول من قوته قبل الإدغام، وضرب ثالث من إدغام المتقاربين ضعيف قليل، وهو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني، فيصير بالإدغام أضعف من حاله قبل الإدغام[43].

ومن الإدغام في المقاربة التي يدغم بعضها ببعض: الهاء مع الحاء، كقولك: (اجبه حَملا)، البيان أحسن لاختلاف المخرجين، والإدغام فيها عربي حسن لقرب المخرجين، والقاف مع الكاف، كقوله: (الَمْ كَلَدَة)، الإدغام حسن والبيان حسن، وإنما أدغمت لقرب المخرجين، وأنهما من

حروف اللسان، واللام مع الراء، نحو: (اشْغَل رَّحَبَة) لقرب المخرجين، ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدّة وجري الصوت سواء، والإدغام أحسن، والنون تدغم مع الرّاء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدّة، وذلك قولك: مِنْ رّاشد، ومَنْ رَّأيت، وتدغم بغنة وبلا غنة، وتدغم في اللام، لأنها قريبة منها على طرف اللسان، وذلك قولك: مِنْ لَّك، فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة، فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإن شئت أدغمت بغنة، لأن لها صوتاً من الخياشيم فتُرك على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيب فيغلب عليه الاتفاق، وتدغم النون مع الميم، لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون، وإن كان المخرجان متباعدين، إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعاً في الخياشيم[44]. ومن إدغام المتقاربين في مثل: (لهدّمت صوامع)، حيث تتلاقى صفات الإطباق والاستعلاء بالصفير والهمس بين الصاد والتاء التي أدغمها نفر من القرّاء، فتؤلف صوتاً متشاكلاً يوحي بهما، تسمعها الأذن، ولا تتنافر فيما بينهما في النطق، ولا سيما إذا كانت القراءة درجاً أو تدويراً[45].

وقبل الحديث عن إدغام المتجانسين سوف نقف عند إدغام بعض الحروف المتقاربة، كما وقف عندها اللغويون، فعقدوا لهذه الحروف أبواباً خاصة، ومن هذه الحروف حرف (اللام)، حيث وقفوا عند إدغام اللام وقفة متأنية، معللين الأسباب التي دعت إلى إدغام حرف اللام مع كثير من الحروف ومفسّرين لها، ومما ذكره سيبويه قوله: ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً، لا يجوز منها معهن إلا الإدغام، لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان، وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان، فلما اجتمع فيهن هذا، وكثرتها في الكلام لم يجز إلا الإدغام[46]. وعلل مكي القيسي مماثلة لام التعريف لهذه الأصوات، بقوله: وعلة إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم، فلما سكنت ولزمها السكون أشبهت اجتماع المثلين، والأول ساكن، وكثر الاستعمال لها، مع أن أكثر هذه الحروف أقوى من اللام، ليس منها ما ينقص عند قوة اللام، إلا التاء، فكان في إدغامها فيهن قوة لها، فأدغمت فيها لذلك، ولا تدغم في باقي حروف الفم لتباعدها عن مخرج الفم، فهن في الصفة أو في القوة[47]. وقد علّق فوزي الشايب على رأي مكي السابق: ومماثلة لام المعرفة لهذه الأصوات يرجع كما قال مكي إلى تقارب المخارج، فكان تتابع اللام لما بعدها لكون اللام هي الأضعف في مثل هذه الحال، لأن لام التعريف أبداً ساكنة، وسكونها يعني أنها في نهاية مقطع مغلق، بينما الأصوات التالية لها تمثل بداية مقطع قصير، ولهذا كانت هي الأقوى فأثرت في اللام، فجعلتها مثلها، والتاء كذلك بحسب موقعها، فليس كما قال مكي بأنها أضعف من اللام، بل هي الأقوى هنا، لأنها تمثل بداية مقطع قصير، كما كانت أقوى في (فَعَلْتُ) في مثل: (وجدتُ) (وجتُ)، و(أردتُ) (أرتُ)، ومما يؤكد هذه الحقيقة ما ذكره سيبويه في باب

إدغام المتقاربين، نحو: اسلخ غنمك، اسلغْنمك، حين تغلبت الغين على الخاء ليس لكونها مجهورة، وإنما لكونها في بداية مقطع، فالتفاوت بينهما في القوة يرجع إلى موقع كل منهما في المقطع، هذا مبدأ عام، وقانون صوتي مطّرد، فالصوتان المتقاربان متى اتصلا في النطق اتصالاً مباشراً، فالذي في نهاية المقطع لا بدّ من مماثلته لما بعده[48].

ما سبق كان في لام المعرفة، أما إذا كانت غير لام المعرفة، نحو: لام (هَلْ وبَلْ) فإن الإدغام في بعضها أحسن، وذلك، قولك: هرّأيت، لأنها أقرب الحروف إلى اللام، وأشبهها بها، فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، وإن لم تدغم فقلت: هل رأيت، فهي لغة أهل الحجاز، وهي عربية جائزة[49]. وحجة من أدغم (هَلْ وبَلْ) لمّا لزم لامهما السكون أشبهتا لام التعريف، فجاز فيهما من الإدغام معهن ما لا يجوز مع لام التعريف إلا هو، وحجة من أظهر أن لام (هَلْ وبَلْ) منفصلتان من الكلمة التي بعدهما، ففارقتا لام التعريف المتصلة بما بعدها[50].

وعلّق الفضلي على قول مكّي بقوله: واختار ابن كثير ونافع و-هما حجازيّان- الإظهار متأثرين ببيئتهما، واختار الكسائي الإدغام – وهو عراقي- متأثّرا ببيئته، من هنا ندرك علة اختيارات القرّاء بعيدين عن تكلف ما ذكره مكي من حجج غير ناهضة بالتعليل[51]. ونصّ علماء القراءات على وجوب إدغام لام (هَلْ وبَلْ) في الراء إذا اتصلت بها، بسبب قرب المخرج، ومن ثم فقد قرأ بعض القرّاء "بل ران على قلوبهم" المطففين:14، قُرئ بإدغام اللام في الراء، وبالإظهار، والإدغام أجود[52]. واللام في الراء حسن، وهو قوله تعالى: "بل ران"، لأنك تبدل من اللام حرفاً أقوى من اللام بكثير، فذلك مما يقوي جواز الإدغام[53]. والذين لا يدغمون اللام في الرّاء هنا وفي السياقات المماثلة، فإنهم يضطرون للوقوف على اللام قليلاً ثم يبدأون بعد ذلك بـ (ران) كي يكون الوقوف فاصلاً بين الصوتين، وهذا ما فعله نافع وحمزة وحفص، ولو وصلوا بين الصوتين لوجب مماثلة اللام للراء، ولكنهم فصلوا بينهما كي لا تلتبس بـ (فعّال) أي حتى لا يظل السامع أنهما كلمة واحدة[54]. وهذا الحكم يسري على اللام في (هَلْ وبَلْ وقلْ) في جميع السياقات المماثلة، وذلك في مثل قوله تعالى: "بل رفعه الله إليه" النساء:158، قال العكبري: الجيد إدغام اللام في الراء، لأن مخرجهما واحد، ولا نقول الجيد بل الواجب هنا، وذلك إذا ما وصلنا في القراءة بينهما، ولم نقف قليلاً على اللام، وقد أجمعت القرّاء على مماثلة اللام للراء في مثل: "قل ربي أعلم" الكهف:22، "وقلْ ربِّ زدني علما" طه:114، نظراً للقرب الشديد بينهما في المخرج، وفي الكلام العادي نقول: (هرّأيت) في (هلْ رأيت)، وقد قرأ أبو عمرو "هثّوب الكفّار" المطففين:36، يريد هل ثوب[55].

أما السبب الثالث الذي دعا إلى الإدغام فهو التجانس، والتجانس في اللغة من جانسه: شاكله، والحد في جنسه، وتجانساً: اتّحدا في الجنس[56]. وفي الاصطلاح: هما حرفان اتحدا مخرجاً واختلفا صفة أو في بعض الصفات، والتجانس أحد أسباب الإدغام، ولكن هذا لا يعني

بالضرورة أن يدغم كل متجانسين، فالقرّاء أدغموا حروفاً معينة من المتجانسين عندما يتجاوران مجاورة مباشرة، حيث أدغموا الباء الساكنة في الميم بعدها مع مراعاة غنة الميم في قوله تعالى: "يل بنيّ اركب معنا" هود:42، وتُقرأ (اركمّعنا)[57]. فإدغام الباء في الميم يسوّغه من الناحية الصوتية أن مخرج كل منهما الشفتان، وأنه لا فرق بين الباء والميم إلا في أن الهواء مع الأولى يتخذ مجراه من الفم، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف، فعملية الإدغام هنا هي مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم إلى نظير له بين أصوات الأنف[58]. وفي الآية السابقة "يا بنيّ اركب معنا" عللها أحد المحدثين بقوله: إنه لا يوجد هنا مماثلة بين الباء والميم، فالباء لم تقلب ميماً بتأثير الميم فيها، ولم تدغم الباء في الميم لمجاورتها لما هو مدغم قبلها أو بعدها، والأمر ما هو إلا حذف وتعويض، وهو عملية اختيارية، فإذا أردنا الحذف عوّضنا هذا الحذف، وإذا لم نرد أبقينا كلّ شيء على ما هو عليه، أما الآيات، فهي تحكمها الرواية، فما ورد فيها من حذف وتعويض نجعله كذلك، وما ورد على الأصل نجعله أيضاً كذلك، وقد مثل ذلك بالكتابة الصوتية في الآية الكريمة: "يا بنيّ اركبْ معنا" والتي تقرأ عند الحذف والتعويض (اركمّعنا) وهذا التطور الذي جرى عليها هو:

الصورة الأولى: ana< / >ir/ kab/ ma

الصورة الثانية:-a/ na< / >ir/ka -/ ma

الصورة الثالثة: -a/ na< / >ir/ kam/ ma

فالصيغة الأولى هي الأصل، عندما جرى عليها التطور إلى غير هذه الصيغة، حذف منها حرف الباء الذي هو حد إغلاق للمقطع الصوتي الثاني، مما أدّى إلى إحداث فجوة في الصيغة، وهذا ما تمثله الصيغة الثانية، وهنا لا بدّ من تعويض موقعي تغلق المقطع الذي زال حدّ إغلاقه، إذ تمّ تعويض ذلك بتضعيف الصوت الذي ابتُدئ به في المقطع الذي يليه، وهذا الصوت هو صوت الميم، وهذا ما تمثله الصيغة الثالثة[59]. وهكذا يمضي الباحث مع حروف الإدغام، فهي عنده عبارة عن حذف وتعويض، سواء أكان ذلك في المماثلة أم في المخالفة.

لا نتفق مع الباحث فيما ذهب إليه من أن الباء والميم لا يوجد بينهما مماثلة، وأن الأمر لا يعدو أن يكون عملية حذف وتعويض، وجعلها عملية اختيارية، لأن قوانين اللغة لا تستند إلى اختيارنا متى أردنا، فالإدغام حدث فيهما لقوّة حرف الميم من الغنّة التي فيها، والجهر والشدّة كذلك، وعند إدغامها بالباء تنقل الباء إلى حرف أقوى منها، لأنّنا نبدل من الباء عند الإدغام ميما، هذا من ناحية، والناحية الثانية، أنهما اشتركا في المخرج فمخرجهما من الشفتين.

وفي قوله تعالى: "يلهث ذّلك" الأعراف 176 ، أدغموا الثاء في الذال، والإدغام هنا واضح، لأنه لا فرق بين الثاء والذال، إلا أن الأولى مهموسة والثانية مجهورة، فعندما يجهر بالثاء تصبح ذالاً، وبذلك يكون الإدغام قد حصل بين صوتين متماثلين كل المماثلة[60].

ومن صور الإدغام التي اعتنى بها اللغويون عناية خاصة، إدغام النون الساكنة والتنوين، وقد أفرد لهما العلماء أبواباً، لكثرة ورودهما، ولتأثرهما بما يجاورهما من أصوات، فتدغم النون الساكنة بلا غنة في الراء واللام، وبها في مثلها، والميم والواو والياء، وتظهر عند الحلقية، وتقلب ميماً عند الياء، وتخفى عند البواقي[61]، والنون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة، وذلك قولك: مِنْ رّاشد، ومن رّأيت، وتدغم بغنة وبلا غنة، وتدغم في اللام، لأنها قريبة منها على طرف اللسان، وذلك قولك: مَنْ لّك، فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة، فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإن شئت أدغمت بغنة، لأن لها صوتاً من الخياشيم فتُرك على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيب، فيغلب عليه الاتفاق، وتدغم النون مع الميم، لأن صوتها واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون، فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب، وإن كان المخرجان متباعدين، إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعاً من الخياشيم، وتقلب النون مع الباء ميماً، لأنها من موضع تعتل فيه النون، ولم يجعلوا النون باء لبعدها في المخرج، وليس فيها غنة، ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم، وذلك، قولهم: مَمْبِك، يريدون: مَنْ بِك، وشَمْباء، وعَمْبَر، يريدون: شنباء، وعنبراً، وتدغم النون مع الواو بغنة وبلا غنة، لأن الياء أخت الواو، وهي مع الراء واللام والياء والواو، إذا أُدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أُشرب غنّة، ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها فيهن، حتى تصير مثلهن في كل شيء[62].

ومن صور المماثلة الكلية المدبرة المتصلة مماثلة النون الساكنة لكل من اللام والميم والراء والياء عندما تتصل بها، وهو ما يعرف في الاصطلاح بـ (إدغام النون)[63]، فالصوت المطبق إذا اتصل بنظيره المرقق كانت النتيجة الحتمية صوتاً واحداً طويلاً، والمجهور مع نظيره المهموس سيفرز حتماً صوتاً واحداً طويلاً، إما مجهوراً، وإما مهموساً، بحسب الموقع الذي يحتله كل منهما في السياق، والنون المشكلة بالسكون يجب أن تنطق ميماً متى وقعت قبل الباء، ويجب أن تفنى في الميم واللام والراء والواو والياء إذا اتصلت بها، فأما إذا ما وجدناها تظهر قبل هذه الأصوات في بعض السياقات، نحو: شاة زَنْماء، وغَنَم زُنْم وعُنم وعُنْم... فلا يعد مثل هذا خرقاً لهذه القاعدة المطّردة، ولا تخلفاً للقانون الصوتي، فالذي عطل عمل القانون الصوتي ههنا هو عمل قانون آخر، وهو خشية اللبس بين الأبنية، حتى لا يلتبس المشدّد بغير المشدّد، ولهذا توقف عمل القانون الصوتي ههنا، منعاً لحدوث اللبس، فإذا لم يكن هناك مجال للبس أخذ القانون الصوتي مجراه، وعمل عمله بشكل حاسم، ولهذا نجد النون تحولت إلى ميم في كل من: امّاز

وامّحى، فالأصل فيهما: انماز، وانمحى، قال سيبويه: ألا تراهم قالوا امّحى حيث لم يخافوا التباساً؛ لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم[64].

ومن أمثلته كذلك مماثلة النون في: عَنْ، ومِنْ، وأنْ، وإنْ، الأصوات المتوسطة بعدها، وذلك مثل (عـمّ) ف قوله تعالى:"عـمّ يتساءلون"، وهي في الأصل: عن + ما، وقد موثلت لكل من اللام والراء في قولنا: ملّي بذلك؟ أي مَنْ لي بذلك، ومرّأيت؟ أي من رأيت؟ ومما جاء مثله في القرآن الكريم "إلا تنصروه" فهذه أصلها: إنْ + لا، وفي المثل العربي: (إلاّ خطية فلا آلّية) أي: إن لا، وبالنسبة لـ (أن) المفتوحة فقد موثلت للام بعدها في قوله تعالى" "ألاّ يسجدوا لله"، وكذلك في قوله تعالى: "ما منعك ألاّ تسجد"، ومثله: "أشهد ألاّ أله إلاّ الله". فألاّ = أنْ + لا، ففي جميع هذه الأمثلة موثلت النون للام، وقد موثلت النون في (أنْ) للراء بعدها، وذلك في قوله تعالى: "أنْ رآه استغنى" حيث تنطق (أرّآه)[65].

امتناع الإدغام:

قد تجتمع في الحروف التي تدغم الشروط التي اشترطت للإدغام، ولكن يُعدل عن الإدغام، وإن كان هو القياس، لأمور عدّة: أولها: الالتباس، أي: التباس الأصول بعضها ببعض، فقد تركوا الإدغام في كلمات جاءت فيهن النون ساكنة قبل الميم، وتكون ساكنة مع الميم إذا كانت من نفس الحرف بيّنة، وذلك قولك: شاةٌ زَنْما، وغَنَمٌ زُنْمٌ، وقنواء وقنيةٌ، وكنيةٌ ومنيةٌ، وإنما حملهم على البيان كراهية الالتباس، فيصير كأنه من المضاعف، ألا تراهم قالوا: امّحى، حيث لم يخافوا إلباساً، لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم[66]، وإذا كانت القوانين الصوتية تقضي بالحذف، أو التخلص من تكرير صوت واحد مرتين، نحو: شدد- شدّ، وأكرم – أُكرم، فإن هذا القانون الصوتي لا ينقصه وجود مثل: طَلَل، وشَرَر، وسُرُر، وحِلَل، ولا مثل: قرْدَدَ، ومَهْدَدَ، ورَمْدَدَ، فليس الإبقاء على المثلين متتابعين لأجل خفة الثلاثي، أو لأجل أن (فَعَل) من الأبنية المختصة بالأسماء، ولا الإبقاء على المثلين في الأمثلة الثانية، لأجل الإلحاق، إنما العلة في ذلك هو خشية اللبس فيما لو حذفنا أو وصلنا المثلين ببعضهما، ففي الحالة الأولى، سيلتبس: طَلَل بطلّ، والشَرَر بشرّ، والسُرُر بسرّ، والحُلَل بحِلّ... كما أننا لو وصلنا بين المثلين في الأمثلة الأخرى، حدث لبس بين (فَعْلَلَ) وبين (فَعَلّ) نحو: معدّ، وبين (فِعْلِل) و(فِعِلّ)، نحو: فِلِنّر، وبين (فُعُلّ)، نحو: مُمُدّ[67]. وذكر العلماء سبباً آخر لم يدغموا لأجله، وهو أن يكون الحرف الثاني من المثلين مزيداً للإلحاق نحو: جلبب، وشملل، لأنه لو أدغم للزم أن يكون (جَلَبّ، وشَمَلّ) والزيادة كانت للإلحاق ببناء دحرج، وعند الإدغام يخرج عن كونه موازناً للفعل دحرج، وإذا ضاعفت اللام وكان فِعلاً ملحقاً ببنيات الأربعة، لم تدغم، لأنك إنما أردت أن تضاعف لتلحقه بما زدت بدحرجت ومجدلت، وذلك قولك: جلببته فهو مجلبب، وتجلبب ويتجلبب أجريته مجرى تدحرج ويتدحرج في الزنة[68].

وآخر سبب ذكر لترك الإدغام هو التخفيف، وقد أسلفنا أن الإدغام يجاء به لضرب من التخفيف، فإذا أدى الإدغام إلى فساد عدل عنه إلى الأصل، وكان احتمال التثقيل مع عدم الفساد أسهل من الإدغام مع الفساد، واختصار الجهد المبذول في النطق وتقريب الأصوات بعضها من بعض[69].

خاتمـة:

إن كل الأصناف التي تناولتها ظاهرة الإدغام، إنما تمثل تناسقاً إيقاعياً في تلاوة القرآن الكريم بخاصّة، وفي اللغة العربية بعامة، لا تؤديه ظاهرة أخرى على هذا النحو من التنويع في أصوات الألفاظ، خاصة في التركيب القرآني، فإن ظاهرة الإدغام في القرآن الكريم ظاهرة قوية لاتصالها بأكثر أصوات اللغة، وفي الإدغام يتم تلاقي صفات متضادة فيما بينها، لتكوّن جمالاً من نوع جديد، فتلاقي صفات الإطباق والاستعلاء بالصفير والهمس، إنما تؤلف صوتاً متشاكلاً يوحي بهما تسمعها الأذن بكل قبول وانسجام، بحيث لا تلمس فيها أي نشاز أو نفور، ولعل التنوع بين أنواع الإدغام عند النون الساكنة والتنوين، وتفاوت مراتب الغنة عند ظهورها أحياناً أخرى، والجمال المسموع الذي تلقيه عليها صفات الحروف، والجمال الذي اتصفت به هي على انفرادها، زادها على جمالها جمالاً، وعلى حسنها حسناً، فهي بمثابة التنوع الموسيقي بين درجات السلم الموسيقي التلقائي[70]. ولذا فإن مجال هذا البحث، اقتصر على جوانب محددة بيّنت بعض جماليات الإدغام، فيما عرض له من إشراطات اللغويين، وتبيان حدّه وغاياته وأسبابه وتجليات تمثّلاته في أصوات العربية في الاستخدام وفيما ورد في القرآن الكريم.

Harmony in Sound Assimilation in Arabic: the Quranic Recitation as a Model

Fawziyah Ali Al-Qudah and **Mariam Jabr Freihat,** *Department of Arabic Language, Irbid University College, Al- Balqa' Applied University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The research investigates one of the aspects of Arabic, namely, the aspect of assimilation in the sound of this language. It is an aspect related to sound and their interaction. This influence is relative which aims at sort of analogy or similarity between them. Added to their proximity is their closeness in characteristics or in articulations. This influence, in its turn, leads to phonetic harmony between the sounds of language.

The research showed that these neighboring sounds differ in their impact on each other. A sound may lose some of its characteristics in order to be close or in harmony with the characteristics of other neighboring sounds. However, this influence may lead to the nonexistence of this sound by the effect of a neighboring one in a way that it disappears. Scholar called this sound disappearance assimilation. The recitation of the Holy Quran has represented the perfect model of assimilating sounds. Therefore, most of the instances have been derived from verses of the Holy Quran as well as from other instances of Arabic sounds.

The research has revealed that all similar Arabic sounds are likely to be assimilated, except for what scholars mentioned concerning referred to in regard to Al-Hamzah which cannot be assimilated with its like.

The research clarified the concept of assimilation, its conditions, reality, letters and its reasons. Finally, the reasons for refraining from assimilation, in spite of its due conditions, were mentioned.

الهوامش

1) سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 395هـ- 1975م، 437/4.

2) السابق نفسه، 4/ 477.

3) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1399هـ، 333/1.

4) القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط2، 143/1.

5) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الهدى، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 139/2.

6) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 204/1.

7) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 280/6.

8) عبد التواب، رمضان، التطور الصوتي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، 22.

9) الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004، 214.

10) بني حمد، أحمد سالم، المماثلة والمخالفة بين ابن جني والدراسات الصوتية الحديثة، مؤسسة حمادة، 65.

11) عبد التواب، رمضان، التطور الصوتي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، 37.

12) الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004، 69.

13) ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بيروت، 121/10-122.

14) البغدادي، الشيخ جلال الحنفي، قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، بغداد، 1987، 220-223.

15) ابن جني، الخصائص، 139/2 – 140.

16) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، 222-223.

17) ابن جني، الخصائص، 139/2.

18) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 204/1.

19) السابق نفسه، 206/1.

20) شكري وآخرون، خالد وأحمد مفلح، المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، المطابع المركزية، عمان، 2005، 160.

21) القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، 134/1، وشرح ابن يعيش، 131/10.

22) عتيق، عبد العزيز، المدخل إلى علم الصرف، دار النهضة العربية، بيروت، 20، الخليل، عبد القادر مرعي، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحوث ودراسات، عمّان، ط1، 2002، 160، وقواعد التجويد، 113.

23) سيبويه، الكتاب، 446/4 – 447.

24) ابن يعيش، شرح المفصل، 134/10 – 135.

25) قواعد التجويد، 223-224.

26) المنير، 159، وعلم التجويد، 63-64.

27) تهذيب اللغة، باب الخاء والجيم، ولسان العرب، باب الخاء فصل الميم.

28) أنيس، إبراهيم، وزملاؤه، المعجم الوسيط، قام بإخراجه ط2، دار الفكر، 225/1.

29) السابق نفسه، 225/1.

30) المنير، 103.

31) سيبويه، الكتاب، 431/4.

32) الأزهري أبو منصور، تهذيب اللغة، حققه وقدّم له عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار، 48/1.

33) سيبويه، الكتاب، 433/4، ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وزملائه،، إدارة إحياء التراث القديم، 52/1، وشرح المفصل، 123/10، وهمع الهوامع، 288/6.

34) المنير، 104-105.

35) تهذيب اللغة، حرف الميم، والمعجم الوسيط، 854/2.

36) ابن جني، الخصائص، 140/2.

37) المنير، 163، ووجوه الإعجاز الموسيقي، 90، عثمان، حسني شيخ، حق التلاوة، ط9، مكتبة المنار، الزرقاء، 1990، 54.

38) السيوطي، همع الهوامع، 281/6.

39) المنير، 164، وعلم التجويد، 124.

40) تهذيب اللغة، حرف القاف، لسان العرب، باب القاف، فصل الباء، مدكور، إبراهيم، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، رئيس المجمع، ضيف، شوقي، 1990، باب القاف، 495، والمعجم الوسيط، 723.

41) سيبويه، الكتاب، 4/445-446.

42) المنير، 165-166، وحق التلاوة، 155.

43) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1/134-135.

44) سيبويه، الكتاب، 4/449-453.

45) وجوه من الإعجاز الموسيقي، 92.

46) سيبويه، الكتاب، 4/457.

47) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1/141.

48) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 214-215.

49) سيبويه، الكتاب، 4/457.

50) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1/153-154.

51) الفضلي، عبد الهادي، اللامات، دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية، دار القلم، بيروت، 1980، 21.

52) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 42/722، والبحر المحيط، 8/616-617.

53) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1/158.

54) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 215-216.

55) السابق نفسه، 216.

56) المعجم الوسيط، 1/140.

57) المنير، 164، وعلم التجويد، 124-125، وحق التلاوة، 157-166.

58) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط5، مكتبة الأنجلو مصرية، 1979، 189.

59) المماثلة والمخالفة بين ابن جني والدراسات الصوتية الحديثة، 29- 30.

60) المنير 164، وعلم التجويد، 124-125، وحق التلاوة، 157-161.

61) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، 1967، 323.

62) سيبويه، الكتاب، 4/452-454، وانظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1/161-167، وشرح المفصل، 10/144-145.

63) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 216.

64) السابق نفسه، 30-31.

65) السابق نفسه، 216-217.

66) سيبويه، الكتاب، 455/4، وانظر: النعيمي، حسام سعيد، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، 352.

67) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة.

68) المدخل إلى علم الصرف، 22، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية، 161.

69) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، 161.

70) وجوه من الإعجاز الموسيقي، 90-95.

المصادر والمراجع:

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد النجار، دار الهدى، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، إدارة إحياء التراث القديم.

ابن مالك، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي.

ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

ابن يعيش، **شرح المفصل**، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بيروت.

الأزهري، أبو منصور، **تهذيب اللغة**، حققه وقدّم له عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار.

أنيس، إبراهيم، وزملاؤه، **المعجم الوسيط**، ط2، دار الفكر.

البغدادي، الشيخ جلال الحنفي، **قواعد التجويد والإلقاء الصوتي**، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، بغداد، 1987.

بني حمد، أحمد سالم، **المماثلة والمخالفة بين ابن جني والدراسات الصوتية الحديثة**، مؤسسة حمادة.

الخليل، عبد القادر مرعي، **التشكيل الصوتي في اللغة العربية**، بحوث ودراسات، عمّان، ط1، 2002.

الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سيبويه، **الكتاب**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 395هـ-1975م.

السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، **همع الهوامع**، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

الشايب، فوزي، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004.

شكري، خالد، أحمد، وآخرون، **المنير في أحكام التجويد**، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، المطابع المركزية، عمان، 2005.

عبد التواب، رمضان، **التطور الصوتي مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي.

عتيق، عبد العزيز، **المدخل إلى علم الصرف**، دار النهضة العربية، بيروت.

الفضلي، عبد الهادي، **اللامات**، دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية، دار القلم، بيروت، 1980.

القيسي، مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط2.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1399هـ.

مدكور، إبراهيم، **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، رئيس المجمع، ضيف، شوقي، 1990.

النعيمي، حسام سعيد، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.